وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة غرداية
مخبر التراث الثقافي واللغوي والأدبي بالجنوب الجزائري
(فرقة البحث: التراث المادي واللامادي)
بالتنسيق مع:
كلية الآداب واللغات

ينظم الملتقى الدوليحول:

الموروث الثقافي والسياحي

ودوره في خدمة التنمية المستدامة

يومي: 11-12 نوفمبر 2019

المحور الثاني

السياحة الثقافية ودورها في التنمية المستدامة

مداخلة مشتركة بعنوان

الموروث السياحي بولاية المسيلة قلعة بني حماد ببلدية المعاضيد مثالا

استمارة المشاركة

الأستاذ: كشيدة بلال

جامعة المسيلة

رقم الهاتف: 0666.45.77.40

استمارة المشاركة

الأستاذ: نش عزوز

جامعة غرداية

رقم الهاتف: 0772.63.09.18

الملخص:

إن السياحة ظاهرة قديمة. فهي ليست وليدة اليوم أو البارحة بل تمتد جذورها إلى الماضي البعيد، حيث نشأت مع الإنسان ولازمت تنقلاته وامتدت إلى الحاضر لتصبح واسعة النطاق وعلما متكاملا يدرس في كثير من الجامعات، وقطاع يحظى باهتمام كبير في الاقتصاديات الحديثة.

وتعتبر قلعة بني حماد بولاية المسيلة أحد الموروثات السياحية الهامة في الجزائر ويختزن هذا المعلم الفريد عشرة قرون من الرصيد الحضاري الإسلامي وقد أدرج سنة 1980 ضمن مواقع التراث العالمي من قبل منظمة اليونسكو

مقدمة:

تعتبر السياحة نشاطا إنسانيا يعتمد على الدوافع وحب المعرفة والاستكشاف والتعليم، وما ينجر على ذالك من تهذيب للسلوك واكتساب المهارات والمعلومات والإطلاع على المعارف بشتى أنواعها واكتشاف المجاهيل في الطبيعة والحضارات المتعاقبة.

كما تعد السياحة مصدر رزق لفئات كبيرة من المجتمعات، ومن أجل ذلك أنشأت منظمات محلية وإقليمية وعالمية تهتم بترقية وتنمية السياحة وقبل أن تكون السياحة موردا يساهم في التنمية الاقتصادية فهي أداة لتواصل الأمم والشعوب على تراث بعضهم وهي إثراء للتراث الإنساني وتشجيع للتبادل الدولي بين المجموعات والعائلات من ديانات وأجناس مختلفة، كما أصبحت صناعة السياحة من أهم مميزات عصرنا الحاضر، وصارت تنافس أهم الصناعات الأخرى لكنها لم تلق نفس الاهتمام في دول العالم الثالث.

وتزخر الجزائر بإمكانيات كبيرة وقدرات سياحية هائلة سواء ما تعلق منها بشواطئ تمتد على مسافة 1200 كلم أو غابات في المناطق الجبلية والهضاب العليا أو صحاري تمثل الجزء الكبير من مساحتها وهو ما جعل الجزاء تصنف ضمن العشرة دول في العالم.

وتعتبر قلعة بني حماد التي أسسها حماد بن بلكين عام 1007 ببلدية المعاضيد ولاية المسيلة أحد المعالم السياحية الكبرى في الجزائر والتي صنفت كتراث عالمي من قبل منظمة اليونيسكو وسنحاول من خلال هذه المداخلة تسليط الضوء على هذا الموروث السياحي الهام في الجزائر.

-ما مدى مساهمة قلعة بني حماد في تحقيق التنمية المستدامة بولاية المسيلة؟

مفهوم السياحة:

ذهب الكثير من الباحثين إلى تقديم مجموعة من المفاهيم الخاصة بالسياحة ومن هذه التعاريف نجد على سبيل المثال لا الحصر تعريف المنظمة العالمية للسياحة التي قدمتها على أنها نشاط إنساني وظاهرة اجتماعية تقوم على انتقال الافراد من أماكن الإقامة الدائمة لهم إلى مناطق أخرى لفترات مؤقتة لا تقل عن 24 ساعة ولا تزيد عن عام كامل لغرض من أغراض السياحة المعروفة ما عدا الدراسة أو العمل[1].

[1]- صلاح خليل أبو أصبع وآخرون: العولمة والهوية الثقافية، منشورات جامعة فيلادليفيا، مصر، 2002، ص ص 160، 161.

بطاقة فنية عن ولاية المسيلة:

تحظى ولاية المسيلة بموقع هام، من الجزء الأوسط من الشمال الشرقي لوطننا الجزائر، حيث تعتبر بوابة الصحراء، إذ تتواجد بها أقرب واحة للجزائر العاصمة على بعد حوالي **300 كلم**.

أنشأت بمقتضى التقسيم الإداري لسنة **1974**، تتكون من **48** بلدية موزعة على **15**دائرة، يقطنها حوالي **90.000 نسمة** وتتربع على مساحة قدرها **18.175 كلم^2**.

كما تعتبر همزة وصل ومنطقة عبور بين الشمال والجنوب والشرق والغرب، حيث يحدها من الشمال ولاية برج بوعريريج، ومن الشمال الشرقي سطيف، أما الشمال الغربي ولاية البويرة، ومن الشرق ولاية باتنة، أما من الغرب ولاية المدية ومن الجنوب الشرقي ولاية بسكرة، ومن الجنوب الغربي ولاية الجلفة، تتميز بمناخ البحر المتوسط "مناخ شبه جاف" كمية الأمطار أكثر من **200 ملم**، حار صيفا تصل درجة الحرارة إلى **40** درجة وبارد شتاء، حيث يصل متوسطها غلى **07** درجات بحكم موقعها الجغرافي الرائع، بين سلسلتي الأطلس التلي والأطلس الصحراوي

تتوفر الولاية على هياكل سياحية لا يستهان بها، مرشحة للترقية حسب وتيرة تنمية القطاع، التي تعرف تطورا محسوسا من: الفنادق، الحمامات المعدنية، الوكالات السياحية، بيوت الشباب، الدواوين المحلية للسياحة.

كما تتميز المسيلة بسياحة تراثية تاريخية لما تحظى به من المواقع الأثرية، والمعالم التاريخية.[1]

بطاقة فنية عن بلدية المعاضيد:

بلدية المعاضيد هي إحدى بلديات دائرة أولاد دراج بولاية المسيلة، تقع شمال شرق بلدية المسيلة على بعد **36 كلم**، وتبلغ مساحتها **264 كلم^2**، يبلغ عدد سكانها **30** ألف نسمة حسب إحصائيات **2008** حيث أنشئت بموجب المرسوم رقم **692** المؤرخ في **28** جوان **1963م**، ضمت إلى دائرة أولاد دراج بموجب المرسوم رقم **189** المؤرخ في 16 ماي **1963**م، غير أنه وفي نفس السنة أعيد إنشاء بلدية المعاضيد الجديدة طبقا للمرسوم رقم **63/466** المؤرخ في 02 ديسمبر 1963م، وكانت تابعة للدائرة المسيلة ولاية سطيف سابقا، وبمقتضى التقسيم الإداري لسنة 1974م، أصبحت تابعة للدائرة المسيلة ولاية المسيلة إلى غاية **1985م**، حيث أصبحت تابعة للدائرة أولاد دراج ولاية المسيلة.

[1]– مديرية الثقافة: قلعة بني حماد منارة حضارية، مؤسسة الطباعة لولاية المسيلة – (ب. س. ن).

تمتاز بلدية المعاضيد بطابعها الجبلي الوعر، وطابعها السهبي الرعوي، حيث تقدر مساحتها الفلاحية بـ **19740 هكتـار**، أما مساحتها الرعوية تقدر بـ **3650 هكتـار**، كما تقدر مساحتها الجبلية والغابية بـ **3020هكتار**.[1]

موقع قلعة بني حماد:

تقع قلعة بني حماد في بلدية المعاضيد شمال ولاية المسيلة، وللوصول إليها يجب أخذ الطريق الوطني رقم **(40)** الذي يربط مدينة المسيلة بمدينة بريكة، وعلى بعد 36 كلم من المسيلة نصل إلى المدينة الأثرية "قلعة بني حماد" التي تطل على شط الحضنة وسهولها الفسيحة من الناحية الجنوبية.

تتمتع القلعة بمناخ بارد ممطر تتساقط بها الثلوج شتاء، بينما يكون معتدل لطيف في فصل الصيف، كما تتميز بكثرة ينابيعها ووفرة مياهها العذبة، التي أقيم عليها الكثير من الحدائق والبساتين وزراعة الفواكه ولخضر وهي غاية في الجودة.[2]

الموقع الجغرافي للقلعة:

على منحدر وعر فوق جبل تقربست " كيانة" [ومعناه بالبربرية "سرج الحصان"، وهي تشبه عند قمتها ذلك السرج].[3]

وتسمى في الوقت الخالي "المعاضيد" على الحدود الشمالية لسهول الحضنة على مسافة كيلومتر من المسيلة[4]، ومن سنة 398هـ/ 18 سبتمبر **1007**م، إلى غاية **4 سبتمبر 1008م/ 399هـ**، بنيت قلعة بني حماد كما تسمى أيضا قلعة " أبي طويل".

تعتبر من أعظم القلاع التي أسسها المسلمون في تاريخهم، إذ تقارن بقلعة صلاح الدين الأيوبي بالقاهرة، وقلعة حصن الأكراد بالشام.[5]

يحدها من الشمال جبل الرحمة وجبل رزوق الذي يمتد على ضفة الوادي اليسرى الذي كان يسمى في عهد الدولة الحمادية بواد جراوة.

---

[1]– مديرية الثقافة: مرجع سبق ذكره.

[2]– مديرية الثقافة: مرجع سبق ذكره.

[3]– مجلة الغربي: الكويت عدد 501، أغسطس 2000، ص 147 (بتصرف).

[4]– إسماعيل (العربي) دولة بني حماد –ملوك القلعة وبجاية–، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص 120 (بتصرف)

[5]– مديرية الثقافة: مرجع سابق ص 01.

تقف قمة الغورين الشاهقة من الغرب، التي قدر ارتفاعها بـ **1190 مترا** من على مستوى البحر، ويقع المدخل الوحيد إلى المدينة جنوبا، وهو عبارة عن طريق كثيرة الالتواء يسار وادي فرج وتتفتح سهول الحضنة على مد البصر من وراء جبل المعاضيد،أما الأرض التي بنيت عليها القلعة فهي عبارة عن مسطح ذي هبوط منتظم يشكل امتداد لجبل المعاضيد إلى سهول الحضنة، ويبلغ ارتفاعه عن مستوى سطح البحر بـ **1000 مترا**.[1]

الأهمية الإستراتيجية للقلعة:

تعتبر القلعة مدينة كبيرة لما اشتملت عليه من نسي معماري، كتخطيط القصور والمساجد والدور والحمامات والتي لا يزال بعض أطلالها قائمة إلى اليوم.

وقد ساهمت القلعة لتكون قاعدة عسكرية بفضل موقعها ذي الأهمية الاستراتيجية الكبيرة، وبعد سنوات قلائل أصبحت حاضرة الدولة الحمادية ابتداء من عام 408هـ/ 1018م، مما زادها أهمية عسكرية وعمرانية وهي في نفس الوقت قريبة من الأراضي الزراعية، الأمر الذي يسهل عليها وصول المؤن والأقوات، فلجميع هذه المزايا الاستراتيجية التي تنطوي عليا المدينة لاسيما بعد أن استقرت لحماد بن بلكين، الأمور في منطقة الزاب، الحضنة، وإدراكه بأن القلعة سوف تضطلع لا محالة بالدور السياسي والعسكري بدل مدينة أشير، خصوصا وقوعها على الطرف لجنوبي لطريق هامة من البحر وتقطع التل، وهي الطريق التي تقع ببجاية عند طرفها الشمالي، هذا زيادة عن الطريق الذي يربطها بالقيروان، وهو الجناح الأخضر.[2]

وفي أيام حماد المؤسس صارت القلعة من أزهى مراكز العلوم والصناعات ولم تمض سنوات على إنشائها حتى نمت وترعرعت وأصبحت مدينة زاهية لها رصيد مجيد من الحضارة، حيث تقدر مساحة الأرض التي تتربع عليها القلعة عاصمة الحماديين بـ 40 هكتار.

وقد أحيطت بسور (ومن بين بنيانها) في عهد حماد، على غرار مدينة أشير، حيث يعتبر السور الحصين لمحمية القلعة يبلغ طوله 7 كيلومتر، ويتراوح عرضه بين 1.20م و1.60م تتخلله كتل كبيرة من الصخور حلت محله في مواضيع يساير قمة غورين، ويتسلق جبل تقرست بالمعاضيد ثم ينحدر نحو الجنوب الغربي، وقد استدار بجميع أطراف القلعة، ثم يميل إلى الانحدار المطل على نهر وادي فرج في المكان الذي

[1]– إسماعيل (العربي): المرجع السابق، ص 120 (بتصرف).

[2]– مديرية الثقافة: المرجع السابق، ص 05 (بتصرف).

يلتقي فيه الجبل بالسهل[1]، حيث فتح بالسور ثلاثة مداخل اندثرت اليوم ولم يبقى منه شيء سوى بعض أجزائه البسيطة باب"الأقواس" الذي يقع من الناحية الشمالية للقلعة، وفي غرب المدينة يقع باب "الجنان" الذي يفضي إلى المسيلة ويتصل بطريقة القيروان.

وأما باب "جراوة " الذي يقع في جراوة شرقا، فهو ينفذ إلى جسر سيدي عيسى الذي كان يمتد على وادي فرج على بعد 07 أمتار من الباب، ثم إلى الطريق المؤدي إلى برج الغدير، ويبدو أن للسور أبراجا متساوية كانت للمراقبة، هذا الجسر الذي يعتبر أثرا هاما، يدل على ما بلغته هندسة الطرق في العصر الحمادي من التقدم، لم يبقى سوى رسوم دراسة، في الوقت الحاضر.

ويقطع مدينة القلعة شارع رئيسي يمتد من الغرب إلى الشرق وجهة الشمال بين باب الجنان وباب الأقواس، ثم تتفرع شوارع ثانوية هنا وهناك.

مباني قلعة بني حماد:

"... كانت مدينة القلعة مثلثة الشكل، تزينها عدة أبواب محصنة وتشتمل على قصور عظيمة، رشيقة البنيان من بينها قصر البحر برسمه المائي البديع، غير أنه لم يبق من كل ذلك الا الأطلال والصومعة التي لا تزال قائمةن وقصر المنار بواجهته التي تشقها خطوط كبيرة على غرار قصور بلاد ما بين النهرين."[2]

أهمها مسجدها الأعظم، وقصور أمراء بني حماد المتعاقبين عن الحكم وهي: قصر السلام، قصر البحر، قصر المنار، قصر الكواكب وأخيرا السور.

أ-مسجد القلعة:

يقع في أسفل المدينة، في القسم الجنوبي، على مقربة من قصر البحر، وقد أعتبر أول عمل معماري أقامه الحماديون منذ وصولهم إلى السلطة، وعلى الرغم من أن المؤرخين يتحدثون عن عدة مساجد في القلعة، فإن هذا المسجد "الجامع الأعظم" هو الوحيد الذي تعرف عليه علماء الحفريات حيث بني على شكل مستطيل يبلغ 63.30م طولا و53.20م عرضا، وهو أكبر مسجد جزائري بعد مسجد المنصورة، كما أحيط بسور ضخم من الحجارة مدعم من الخارج بركائز مستطيلة.

[1]- مديرية الثقافة: المرجع السابق، ص18، (بتصرف)

[2] - الفن المعماري الجزائري: سلسلة فن وثقافة- وزارة الأخبار، الجزائر، جوان 1970، ص28.

يتوسطه حصن مكشوف يبلغ طوله 54م وعرضه 25.90م. تحيطه أروقة جانبية، وبداخل هذا الحصن خزان أو صهريج مياه للمصلين[1]، كما تمتد فيه صفوف من السواري تتكون من 84 سارية، وللمصلى 11 بابا مختلفة الاتساع، ولم توزع توزيعا منتظما.

وتوجد به 3 حجرات استعملت للوضوء، أما من الجهة الشرقية فقد تم العثور على مكتبة مفروشة بالبلاط الأبيض، والمسجد يحتوي على بيت للصلاة مكون من 8 بلاطات نوازية لجدار القبلة، تشكلها 13 بائكة عمودية على جدار القبلة الذي يتوسط المحراب وتوجد بالإضافة إلى كل هذا وبجانب المحراب يقع المكان الذي كانت تحتله مقصورة، وهي مقصورة واسعة يرجح أن تكون مصلى خاصا للأمراء وفي الزاوية الشرقية يقع المنبر الذي يذكرنا نمط بنائه بمنبر مسجد القيروان.

أما عن سط الضلع (الحائط) الشمالي للحصن ترتفع المئذنة التي تعتبر أقدم مئذنة جزائرية بعد مئذنة سيدي أبي مروان بعنابة.

وهذه المئذنة بطرازها الفريد تعتبر عملا مستحدثا في العمران الإسلامي بالمغرب الأوسط منذ الفتح الإسلامي لهذه البلاد، وقد اتخذت بعد ذلك نموذجا يتحدى به البناء خاصة الموحدين وإشبيلية (إسبانيا) وحسان (الرباط).[2]

رغم عوادي الزمن تعتبر المئذنة الأثر الحمادي الوحيد مازال يحتفظ بمكوناته الأصلية، رغم أعمال الترميم التي عرفتها اليوم هي مهددة بالانهيار.

تتكون هذه المئذنة من بين مربع الشكل يبلغ ارتفاعه 25 متر، وقاعدته مربعة يبلغ طول ضلعها 6.40 متر، شيدت بالحجارة البنية وحشو متين من الطابية.

إن للمئذنة مدخل معقود مستطيل ارتفاعه حوالي 2.70 متر يؤدي إلى سلم داخلي يدور حول النواة المركزية المربعة، مغطى بأقبية برميلية ومتقاطعة بالتناوب.[3]

حيث يذكرنا هذا النظام في التغطية بالكبوات التي تعلو درج مئذنة أبي مروان ببونة "عنابة"، حيث يوصل هذا السلم إلى أعلى قمة المئذنة ولا نعرف فيما إذا كانت المئذنة الحمادية تتكون من برجين أو طابقين

---

[1]– عبد الحليم (عويس): دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار بيروت، لبنان، ط1، 1980، ص 194 (بتصرف).

[2]– الرزقي (شرقي): تطوير المقرنسات في عمارة المغرب الإسلامي خلال القرنين (5-7هـ/11-13م)، رسالة لنيل شهادة الماجستير، معهد الآثار، بني مسوس، الجزائر، 2000، ص62.

[3]– عبد الحليم (عويس): المرجع السابق، ص125 (بتصرف).

لاختفاء ذروتها التي يتوقع أن تكون عبارة عن غرفة مستديرة أو مستطيلة مغطاة بقبة، نظرا للطابع العسكري الذي يضفي على المبنى باقتصار زخارفها على الواجهة الجنوبية فقط، بينما الواجهات الثلاثة الأخرى خالية من الزخرفة باستثناء بعض الفتحات والمزاغل للتهوية والإضاءة.

ب-قصور القلعة:

لم يحفظ لنا الزمان شيئا منها سوى بعض ما تخلف عن الأسوار الضخمة التي تبقت من هذه القصور.

1-قصر البحر:

يعتبر أقدم القصور المقامة بالقلعة، يقع في وسط المدينة على مسافة 150م من المسجد يدعى هذا القصر أيضا "دار البحر"، القصر عبارة عن عدد من المباني التي تمتد في مساحة طولها **70** في العرض **67**، يبلغ ارتفاعه **10** أمتار.

ولبناية الرئيسية منه هي قصر الأمير، حيث اكتشفه القائد الملقب "دوبليه" أثناء الحفريات التي أجراها سنة **1908م**، كما يرجع غليه الفضل في وضع مخطط القصر، ووصف بغض التحف المكتشفة ثم جاء الأستاذ" بورويبة" فواصل الحفريات حول القصر نفسه وتمكن من اكتشاف واجهة القصر الشرقية مع المدخل ومجموعة من الغرف والقاعات التي بنيت مابين المدخل والحوض الشرقي، وقد ألحق في القصر في الجانب الشرقي مبنى آخر يرجح أنه كان يأوي المكاتب الإدارية والحرس والمخازن والإسطبلات...الخ.

حيث تتميز الواجهة المكتشفة بالحينيات ذات السطوح المقعرة والنصف مستدير عن يمين ويسار المدخل، والملاحظة الملفتة للأنظار حول بناء هذا القصر، كون تخطيط قاعات الجناح الشرقي يتجه من الجنوب إلى الشمال وتفتح جميعها نحو الغرب، والقصر أساسه عبارة عن منشأة معمارية كبيرة من المباني المختلفة المستعملة مما زاد في فخامة قصر البحر كونه يشرف على بحيرة كبيرة تقع في الجانب الأسفل ن القصر، حيث أخذ القصر إثمه منها.

وهذه البحيرة تمتد على مساحة لا تقل عن **67م** طولا و**47م** عرضا، يقدر عمقها بـ **1.60**م، وكانت المياه تجلب إلى هذه البحيرة عبر قنوات بعيدة من جهة الشمال، والملاحظ من الواجهة التاريخية أن قصر البحر أو دار البحر، هو من أهم قصور قلعة بني حماد، قد بني في فترة سر من رأى وقصر الحمراء.

وهو إذ يختلف عن هذين القصرين في طرازه المعماري، فإنه يشبههما في تصميمه العام من حيث أنه يحتوي على مجموعة من البنايات التي تضم مختلف المصالح، الحدائق والصهاريج التي كانت دائما تلعب دورا هاما في القصور الإسلامية.

وكل قصور القلعة تحتوي على قاعات فسيحة تسود فنها المعماري مظاهر الأبهة والترف الزخرفي، كما تحتوي على غرف ضيقة للاستعمال الشخصي، ودار البحر مثل قصر الحمراء يحتوي على حمامات تابعة لقصر الأمراء.

وقد قام المنقب "جورج مارسييه" **سنة 1908** بدراسة بعض النماذج الفنية لآثار دار البحر تضمنها كتابه عن تاريخ الفن الإسلامي.

وخرج من هذه الدراسة القيمة بالنتيجة التالية:

«ليس من التكرار أن نقول أن الجزائر تملك بدار البحر وتوابعه واحد من القصور الإسلامية الكاملة، وواحدة من القصور التي عرف تاريخها جيدا، وواحدا من القصور التي أدخل عليها الأقل من الإصلاحات».[1]

2-قصر المنار:

يقع على الهضبة المطلة على الوادي العميق الذي يشق وادي فرج، وعلى بعد **30 مترا** من برج المنار، حيث اهتم بدراسته "لوسيان قولفين l.golvin" الذي قال في شأنه لازلنا لم نعرف بالضبط أهمية هذا القصر، وأن استخلاص أية نتائج الآن يعد سابقا لأوانه، ولكني لا أستغرب في يوم ما إذ اكتشفت أن قصر المنار كان أكبر القصور الحمادية".[2]

قصر المنار يتألف من مجامع كبيرة من البنايات بنيت حول ساحته المركزية يتقدمها مدخل بارز إلى الغرب من هذه الساحة، نجد قاعة ذات تخطيط متعامد "صليبية الشكل" تتقدمها غرفة متراكبة. وإلى الجنوب يطالعنا مدخل بارز يشبه المدخل الأول، في حين يفضي المدخل الأخير إلى مجموعة سكنية أخرى كانت قد بنيت على أنقاض أساسيات البنايات الأولى، بمعنى أنها ترجع إلى فترة متأخرة من بناء قصر المنار نفسه.

أما إذ اتجهنا جنوبا، نجد وحدة سكنية مجهزة بمخزن، وبجوار الحوض وباتجاه البرج أكتشف مباني أخرى تخت الأرض تحتوي على سلالم لعلها كانت تشكل فرن لتسخين المياه.

---

[1]- الرزقي (شرقي): المرجع السابق: ص 65 (بتصرف).

[2]- مديرية الثقافة: لمرجع السابق، ص 16 (بتصرف)

المنارة لا يزال قبوه الهائل يمثل لنا عظمة هذه الآثار وجلالها، فقد غير عل أنقاضه على نموذج من التنميق المعروف باسم "خلايا النحل"، وهو عبارة على قطعة من الحجر طولها 1م في عرض **60سم**، والمعروف أن أقدم الأثر تميل هذا الزخرف الإسلامي، هو قطعة صغيرة وجدت بجامع الأقمر في القاهرة.

ولما كان تاريخ هذا المسجد يرجع إلى سنة 519هـ، فإن ظهور هذا الزخرف في قصور قلعة بني حماد التي بنيت في أواخر القرن الرابع،حدث ذو أهمية بالغة في تاريخ الفن المعماري الإسلامي.

ومن الثابت أيضا أن الأقواس النصفية والستلاكتيت، والزخرف ذي البريق المعدني، والصيني الأزرق والأبيض المنمق بالصليب والنجوم ذوات ثمانية أضلاع، والمرمر المنحوت والمصبوغ، كلما كانت موجودة في قصور القلعة عدة قرون قبل أن تظهر الحمراء بالأندلس.

وكذلك لاحظ بعض مؤرخي الفن الإسلامي مابين قاعات قصر المنار وقصر القبة وقصر العزيز في برلم (صقلية) من الشبه.

ولكنه لا يجب أن ننسى أن هذين القصرين بنيا في وقت متأخر سنة **549 و576م** على التوالي، كانت القلعة في ذلك الوقت قد تخلت عن دور العاصمة، ومن ثم فإن من الممكن الافتراض بأن يكون مهندسو هذين القصرين قد استوحوا نماذجهم من قصر المنار.

3-برج المنار:

يشكل هذا البرج بناءا كبيرا من المباني وتألف منشأة قصر المنار، الغرض منه الحماية والتحصن والمراقبة، حيث يعرف مصطلح البرج بالمدن الإسلامية،أسماء أخرى "المراقب، الساقطات".

والبرج من حيث التخطيط لمعماري عبارة عن بناء حرفي مربع الشكل أو مستطيل أو مستدير، ويحتوي على مساقط ومزاغل وفتحات لمرمي المصهورات والسهام، كما كشفت بعض معاينات علماء الحفريات على وجود بقايا أسوار القلعة، بأنها كانت مدعمة بأبراج للمراقبة والدفاع غرار ما هو موجود في أسوار المدن المغربية كالرباط والجزائر بتلمسان، لكن لا يزال حتى الآن جهل أشكالها وأنواعها لاندثارها، ومع ذلك فقد بقيت بعض بقايا برج المنار حتى اليوم وهي مهددة بالاندثار يوما بعد يوم.

وظيفة هذا البرج في العهد الحمادي كانت تقوم على إرسال واستقبال الإشارة الضوئية، بواسطة فنار مربع يبلغ طوله **22 متر**، وضع أعلاه جهاز مزود بالمرايا ويستعمل كوسيلة اتصال بين المدن المجاورة للقلعة، ومن بين المؤرخين "ابن خلدون" حيث قال «الاتصال كان يقع بواسطة هذا الفنار ببجاية ويونس وغيرها»، أما "دوبليه" يرى بأن الجهاز يسمح بإرسال الرسائل إلى جميع النقط المهمة في مملكة بني حماد،

أما روبرت أول المنقبين في آثار هذه المدينة الأثرية " قلعة بني حماد" يعتقد أن ضوء هذا الفنار لا يمكن أن يرى من سهول الحضنة والمنطقة التي تمتد حتى بوسعادة.[1]

فمن حسن الحظ أن أجزاء كبيرة من بناء برج المنار الهام لا تزال باقية حتى اليوم، مما يساعدنا على تصور المكونات المعمارية المندثرة، ويبقى أملنا كبيرا في أن يبقى هذا المعلم الحربي الكبير الدور الذي يعطي صورة حقيقية عما وصل إليه الفكر العسكري عند الحماديين.

وإلى جانب القصور التي ذكرها، كانت القلعة تحتوي على عدد كبير من القصور ومنازل الأمراء ولكنها كلها عفت واندثرت معالمها فلم يمكن التعرف حتى على مواقعها، وقد تأثر الشعراء الحماديون بهذه القصور فسموها بأسمائها ماعدا.

4- قصر السلام:

يقع على مقربة من قر البحر قد اكتشفه الأستاذ "لوسيان غولفين" أثناء لحفريات التي قام بها سنة **1952م** و**1962م**، بناه الأمير "المنصور بن ناصر بن علناس الحمادي" في أواخر القرن الخامس هجري الموافق للقرن الحادي عشر ميلادي مع قصر المنار وقصر الكوكب حسب ما ذكره "ابن خلدون" في مؤلفه "كتاب العبر الجزء السادس".

ويتكون قصر السلام من دورين أو قسمين أرضي وقسم علوي، فالقسم العلوي يضم سورا مربعا مدعما في أركانها الأربعة بأبراج على هيئة ثلاثي أو رباعي الدائرة، مثل قصور الأمويين ببداية الشام، حيث يتوفر على مدخل بارز محلي بتجويفات مقعرة السطح، يكشف المدخل العلوي على دخلتين نصف مستديرتين كما هو الحال في قصر المنار والمدخل يؤدي إلى قاعة كبيرة مستطيلة الشكل، يبلغ طولها **17.57مترا** عرضا، ثم نجد فناء كبير المساحة.

وهي شبه مربعة حيث قدر طولها بـ **16 مترا**، وعرضها بـ **15 مترا**، وتحيط به غرف مختلفة الأشكال والمساحات، حيث عثر عند الطرف الشرقي للقاعات الجنوبية الكبيرة آثار درج **عرضه 0.85 مترا**، يدور حول نوات مركزية مربعة طول ضلعها **0.65 مترا** حيث من المحتمل جدا أنى ذلك الدرج كان يؤدي إلى الدرج الأول.

أما الدور الأرضي من القصر المذكور فيحتوي على حصن واسع عرضه يقدر بـ 15 مترا يحيط بمجموعة من الغرف المتفاوتة الأشكال والمساحة، زيادة عن بعض المطامير التي كانت تستعمل لتخزين

[1]- مديرية الثقافة: المرجع السابق، ص 17 (بتصرف)

الحبوب التي ذكرها " الشريف الإدريسي " بقوله: «...والحنطة تخزن بها فتبقى العام والعامين لا يدخلها فساد ولا يعتريها تغيير».[1]

5- قصر الكوكب:

ذكره ابن خلدون باسم الكوكب وهو من مآثر المنصور بن علناس، كما ذكرنا سابقا حيث يقع هذا القصرين قصر البحر وقصر السلام ونعتقد استنادا إلى إثمه أنه كان أفخم القصور الحمادية، لكننا مازلنا نجهل مكوناته المعمارية، وأهميته الاجتماعية والسياسية بالنسبة لبقية القصور المعروفة آنذاك.

[1]- مديرية الثقافة: المرجع السابق: ص 14 (بتصرف)

المراجع:

1. إسماعيل (العربي): دولة بني حماد –ملوك القلعة وبجاية– الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.
2. الرزقي (شرقي): تطوير المقرنسات في عمارة المغرب الإسلامي خلال القرنين (5–7هـ/11–13م)، رسالة لنيل شهادة الماجستير، معهد الآثار، بني مسوس، الجزائر، 2000.
3. صلاح خليل أبو أصبع وآخرون: العولمة والهوية الثقافية، منشورات جامعة فيلادليفيا، مصر، 2002.
4. عبد الحليم (عويس): دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار بيروت، لبنان، ط1، 1980.
5. مجلة الغربي: الكويت عدد 501، أغسطس 2000.
6. مديرية الثقافة: قلعة بني حماد منارة حضارية، مؤسسة الطباعة لولاية المسيلة – (ب. س. ن).